

التعاون بين البيت والمدرسة

تكاد تقتصر العلاقة بين البيت والمدرسة في مصر على أن يؤدي الأول مصروفات التلميذ وأن يتسلم آخر العام شهادة بدرجته وتسلمه أو رسوبه . ومن وقت لآخر تصل إلى البيت بطاقة صغيرة عن غياب التلميذ أو نحو ذلك .

وكثير من الآباء يتوهم أن إدخال التلميذ في مدرسة ما يرفع عنه تبعه التربية حتى لا يكلف نفسه التفكير في شؤون الأبناء . مع أن الواقع أن عبء " التربية " يكاد يقع على الآباء وحدهم إذا كان عبء " التعليم " يقع على المعلمين . ففى المدرسة يتعلم التلميذ اللغة والرياضيات ومسائر المواد الثقافية . أما في البيت فإنه يتعلم الأخلاق ويمارس من السلوك ما سوف يؤثر في حياته المستقبلية من نجاح أو خيبة . بل إن نجاحه المدرسى قد يتوقف على الأسلوب الذى تتبعه عائلته في معيشتها في البيت . ونستطيع أن نلمس أثر البيت في المدرسة حين نذكر أن على البيت واجب العناية الصحية بالتلميذ من توفير الغذاء والراحة له ، إلى إيجاد الجو السعيد حتى لا يحمل معه إلى المدرسة نفسا مثقلة بالهموم المترتبة فيشتت ذهنه ويسوء فهمه للدروس . وعلى البيت أن يقدم القدوة الحسنة في الأخلاق الفاضلة في الأم والأب . بل على البيت أن يكسب التلميذ الذوق الفنى في السلوك .

وهناك مدارس جديدة تسير الآن بإلحاح العقول الذكية والقلوب البارة، وتحاول أن تعلم التلاميذ الأخلاق وتغرس فيهم أسلوبا يتفق والحياة المدنية الديمقراطية . وهى لهذا الغرض قد أنشأت الأندية في المدرسة لكن يجتمع فيها التلاميذ والمعلمون ويقوم الجميع بمجهودات لا تعتمد على المباراة ولكن على التعاون . كما أن الألعاب الرياضية بل ومكتبة المدرسة قد أصبحت جميعها ميدانا لممارسات اجتماعية يراد منها تويد التلميذ حمل التبعات الاجتماعية والشعور بأنه عضو عامل في أمة ديمقراطية له حق التفكير المستقل وواجب العمل للرقى الاجتماعى العام .

ولم نعرف الى الآن في مصر مثل هذه المدارس وإن كانت هناك محاولات جديدة نحو إيجادها . كما أن الآباء لم ينتهوا للآن الى حقوق الصبيان . فقد قال احد رجال التربية "إن الصبي الذى لا يستمتع بصباه حتى يعيش طفلا في طفولته وصبيا في صباه وشابا في شبابه لن يكون رجلا في رجولته . ذلك لأن إفساد الطفولة أو الصبا أو الشباب هو افساد للرجولة" هذا والافساد كثيرا ما يأتى من ناحية تكليف الصبيان واجبات تعدو طاقتهم أولا تنفريهم

بالدرس والانتباه فهم يؤدونها كارهين . كذلك التلميذ الذى لا يكاد يؤدى امتحانه وينجح فيه حتى يسارع الى تمزيق الكتب والكراسات التى أبلأها بالدرس وأبأنه بالسام . فان مثل هذا التلميذ على الرغم من نجاحه ان يربى منه توسع فى هذه المادة أو تلك التى كرهها . وهو عندما يغادر المدرسة لن يفكر فى ترقية معارفه أو التعمق فى ثقافته . وشهادته التى ينالها عندئذ إنما هى شهادة بأنه قد فطم عن الدراسة . فلكى ينتفع التلميذ بدراسته وينشأ على أخلاق قوية يجب أن يجمع الى الطمع المادى طموحا روحيا وأن يرتاح الى المدرسة ويحبها كما يرتاح الى البيت ويحبه . كما يجب أن تتعاون المدرسة والبيت على خدمته وترقيته والفحص عن عيوبه ومعالجتها
اول بأول

وجد ربنا أن نسال فى مصر: هل بيوتنا قد أعدت الاعداد الحسن لخدمة الطفل ثم الصبي؟
إن البيت المصرى المتوسط لا يخلو من "صالون" للضيوف ، وهو مؤثث بأعلى الأثاث والعناية بتنظيفه وتجديده لا تنقطع ، مع أن الضيوف الذين يرتادونه قد لا يزيدون على ثلاثة أو أربعة أشخاص فى الشهر فى حين أنه ليس فى بيوتنا غرف خاصة للأطفال يمارسون فيها حريتهم وألعابهم وتسلياتهم . فتحن نظاردهم من غرفة إلى أخرى ونمنعهم من الصياح ونعاقبهم على الوثب ، ولا نبالي أن نفسد عليهم مشروعاتهم الصبائية عن بيت ينونه من الخشب أو الرمل ، مع أن لهذه المشروعات من القيمة فى تربية الطفل ما لا يقل عن القيمة فى تعليمهم الحساب أو اللغة ، لأن الصبي يقبل على مشروعاته بحماسة وتفكير ، وهو يثار على العمل حتى يصل الى نتيجة منشودة فى ذهنه . وليست العبرة هنا بالمشروع فى ذاته وإنما هى بما يؤثر فى ذهن الصبي وما يستنبط منه من اختراع ومثابة . ولذلك فان كل صبي يحتاج الى حرية الصياح والحركة واللعب ، ومن الضرر الكبير أن نحمله الى شيخ وقور يلزم الصمت والهدوء فى حين تطالبه طبيعة صباه بضد ذلك ، وكثير من بيوتنا "شقق" فى مبان كبيرة متعددة الطبقات ، وهى لا تسمح للأطفال باللعب والوثب والصياح والجري وسائر ألوان النشاط التى تحتاج الى فناء أو حديقة واسعة ، وفى مثل هذه الحال يجب أن يعنى الأب بتوفير اللعب لصبيانه فى أحد الأندية الخاصة بالعسيان وهى أندية ما زالت للأسف قليلة فى بلادنا مع أنها كثيرة متوافرة فى جميع المدن الأوروبية والأمريكية .

ووسط المدرسة عندنا لا يزال على نشأته القديمة ، تكبر فيه العناية بالنظام والصرامة حتى تكاد المدرسة تقارب الشكنة العسكرية . فان المعلم لا يكاد يعرف عن الصبي إلا أنه تلميذ فى فصله بل أحيانا يجهل اسمه ولا يطالبه بأكثر من النجاح فى المادة التى يعلمه إياها . وأحيانا توضع العقوبات بحيث تجعل المدرسة وواجباتها كأنها عقوبة . فان التلميذ يحجز فيها عند ما يهمل بعض واجباته . ليستشعر من هذا الحجز أن البقاء بالمدرسة مبيء وأن الانطلاق منها حسن ، وهذا ما لا يجب أب أو معلم أن ينتهى اليه صبي فى منطقته وتفكيره .

وصحيح ان هناك مدارس قليلة شرعت تقارب بين المعلم والتلميذ وتؤسس المؤسسات لزيادة هذا التقارب ، ولكنها كما قلنا لاتزال قليلة . ومن البدييات في التعليم أن للعاطفة — عاطفة الحب أو الكراهة — أثرا في التفات التلميذ أو إهماله لدروسه . فإذا كان الصبي يكره المعلم لأنه يجهله أو لأنه لم يجد الفرصة للحديث والتقريب بينه وبينه فإنه في أغلب الأحوال يكره المادة التي يدرسها مهما يكن ذكاؤه وقد يرسب لهذا السبب . فيجب أن تكون العلاقة القائمة بين التلميذ والمعلم علاقة الود والاحترام والنفاهم والبعد عن الصرامة .

فإذا وجد الصبي وسطا حسنا في البيت وأبوين يقدران حريته واستقلاله ولا يعارضانه في تصرفاته المعقولة ثم وجد مثل هذا الوسط في المدرسة : من معلم يعطف على نشاطه ويشجعه ويتقبل عليه بكلمات الإعجاب والحب ، إلى ناظر ينظم له الاجتماعات التي ترق شعوره بتبعاته وتكسيبه التقدير الحسن لشخصه ، فإنه ينشأ ويسير نحو الشباب دون أن يجد عقبات تؤخر نموه الجسمي أو الذهني . وهو يدخل عندئذ في طور الشباب بريئا من المركبات السيئة التي تفسد النفس وتضلها .

وقد شاعت في الأيام الأخيرة " جمعيات الآباء والمعلمين " وهي تجتمع لدرس أحوال التلاميذ وبحث صعوباتهم العامة . وهناك بالطبع صعوبات خاصة تحتاج إلى مقابلات خاصة بين والد التلميذ ومعلمه . ولكن هذه الجمعيات التي أشرنا إليها يراد منها بحث الصعوبات التي تكاد تعترض جميع الصبيان . ويجتمع المعلمون والآباء فيشكو الأب ما يجد من ابنه من إهمال أو مخالفات في السلوك . ويتناقش الجميع في ذلك كل يبدي رأيه . وقد تنتهي المناقشة بقاء التبعة على الأب المشتكى . أو قد يجد المعلم فرصة لتوجيه التلميذ وجهة أخرى . وهناك بالطبع الشوارع أو الشوارع التي تقع بين البيت والمدرسة وهي التي يقطعها الصبي كل يوم في رواحه وغدوه . بل هناك الميادين والشوارع التي تحيط بالبيت وفي كل منها بيئة اجتماعية خاصة قد تكون حسنة أو سيئة فإن هذه كلها يجب أن تكون موضوع الدرس بين المعلم والوالد .

ونذكر أن أحد النظائر للدارس الثانوية — ونظنه ناظر مدرسة الزقازيق الحكومية — قد أوحده هذه الجمعية وانتفع بها الآباء كثيرا حتى كانوا يلحون في الحضور في الاجتماعات . وتحسن وزارة المعارف إذا هي أخذت بهذا النظام وكلفت النظائر تأليف هذه الجمعيات حتى يجد التلاميذ العين الساهرة على مصالحهم ونموهم في البيت والمدرسة معا .